خطبة صلاة الجمعة 11/ 3/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(سلامة الصدر عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدا ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة الثالثة والعشرون في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي ﷺ، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم:

سلامة الصدر عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها

أيها الإخوة:

ليس أروحُ للمرء، ولا أطردُ لهمومه، ولا أقرُّ لعينه من أن يعيش سليم الصدر، طاهر القلب من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد.

والغيبة والنميمة والحسد والخصومة والجفاء والتدابر والقطيعة والإيقاع بالناس وتلمس العيب للبرآء كلها كبائر ملازمةٌ لفوران الصدر بالحقد.

والإسلام يتحسس النفوس بين الحين والحين، ليغسلها من أدران الحقد ويورثها سلامة الصدر في كل يوم، وفى كل أسبوع، وفي كل عام.

أما في كل يوم؛ فالصلوات المكتوبة لا يحظى المسلم بثوابها إلا إذا اقترنت بصفاء القلب للناس، وفراغه من الغش والخصومات قال رسول الله: **«ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرا: رجل أمَّ قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان مُتصارمان»** [ابن ماجه].

وأما في كل أسبوع، فقد قال رسول الله ﷺ: **«تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليومين لكل امرىء لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرءا كانت بينة وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»** [البيهقي في الشعب].

وأما في كل عام فلا يظفر بنفحات ليلة النصف من شعبان التي نحن في انتظارها نهاية الأسبوع إلا الأصفياء السمحاء!

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عز وجل يطلع على عباده، ليله النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويُؤخرُ أهل الحقد كما هم»** [البيهقي في الشعب].

فهذه مصافٍ للأدران يكررها الإسلام كل يوم وكل أسبوع وكل عام، ليعيش الإنسان طاهر القلب سليم الصدر نقي الفؤاد، موصولٌ قلبه بالخالق مبذول خيره للخلق.

وإذا كان حديث اليوم عن سلامة الصدر عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة..

1-أخرج الإمامان أحمد والبزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فقال: **«يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة»** فطلع رجل من الأنصار تنطُف لحيته من وَضوئه وقد تعلق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى،

فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلتَ؟ قال: نعم.

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى صلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا. فلما مضت الثلاث الليالي وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك فلم أرك عملت كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت! قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. وفي رواية: ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي إلا أني لم أبت ضاغنا على مسلم.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق.

إنها صورة من صور سلامة الصدر وأثرها في دخول الجنة.

2-وأخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**».

إنها صورة من صور سلامة الصدر عند النبي ﷺ، والسعي للمحافظة على ذلك.

3- أجمع أصحاب السير على أن النبي ﷺ عندما فتح مكة نادى الملأ من قريش: «**ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟**». ومرت لحظة صمتٍ رهيب تَذَكَّر فيها القوم ما فعلوا برسول الله ﷺ وأصحابه من أذىً وتنكيل، وتجريح وتهجير، وقتلٍ وتدمير.

تَذَكَّر القوم أنهم كانوا يُطفئون جمرهم بأجساد الصحابة الطاهرة، وأنهم كانوا يضعون الحديدَ المحمى على رؤوس الصحابة الشريفة، وأنهم كانوا يبقرون بطون الحوامل من الصحابيات الجليلات، وأنهم قتلوا.. وأنهم سرقوا.. وأنهم شردوا.. كل هذا تذكروه وقد جاءت ساعة القصاص.. غير أنهم كانوا يعرفون سلامة صدر محمد ﷺ ويلمسون كرم محمد ﷺ فقالوا: "أخٌ كريم، وابن أخ كريم، ما نظن إلا خيراً..".

وعاد الصمت يسود، وهنا ألقى رسول الله ﷺ ما صنع هؤلاء القوم به بأهل الإيمان وراء ظهره، وراح يفكر فيما ينبغي لمثله معهم وفَكَّر في تطييب قلوبهم وإزالة الأحقاد من نفوسهم عساهم

يؤمنوا ويطيعوا ربه فقال: «**أقولُ لكم ما قاله أخي يوسف لإخوته** (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) **اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وبذلك أنهى النبي ﷺ بسلامة صدره وطهارة قلبه وحكمته أحقاد عشرين سنة وأكثر، ووضعها دبر أذنه، ليستقبل الناس عهداً جديداً في الإسلام.

والحاصل أنّ سلامة الصدر وتصفيته من الضغائن والإحن خُلُقُ النبي ﷺ، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون خلقَك، وأن تكون معروفاً بذلك.

تخاصم زوجان خصومة يقع مثلها في سائر البيوت ولكن الزوج لم يرض الصلح ولا قبل الاعتذار ومضى للتفريق القضائي موعزاً لمحاميه أن يكتب أشد ما يُكتَب عن زوجة وأهلِها.

ومع أن عدداً من الوجهاء والصلحاء والأقرباء توسطوا لديه لإنهاء الخصومة غير أنه لم يجب منهم داعياً.

ولا زال منذ أشهر طويلة يحمل الحقد في صدره والهم في قلبه والتشويش في عمله والغيبة والنميمة في منطقه.

سلامة الصدر أتقى وأنقى وأبقى، وسليم الصدر قلبه بالخالق موصول وخيره للخلق مبذول.

لا يحمل الحقد من تعلو من الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

أعطى أبٌ ميسور الحال كلاً من ولديه في مطلع شبابه مبلغاً من المال ليبدأ به عمله، كان أحد الابنين باراً بوالديه متحملاً للمسؤولية مثابراً على العمل مستشيراً من هو أكبر منه وأعلم، وكان الثاني قاسياً مع أبويه، مضيعاً للوقت مبدداً للمال متفرداً برأيه مستعجل الثمرة قبل نضجها.

فتح الله على الأول فنجح في عمله وثمّر ماله، بينما أخفق الثاني وبقي عالة على أبيه، وكلما نصحه ناصح رده وكلما أرشده مرشد صده.

حسد الثاني أخاه وحقد عليه وطوعت له نفسه الإساءة إليه والاعتداء عليه، ولا زالت نار الحقد تحرق قلبه إلى أن أصيب بجلطة أردته صريع البغض والضغينة.

سلامة الصدر أتقى وأنقى وأبقى، وسليم الصدر قلبه بالخالق موصول وخيره للخلق مبذول.

لا يحملُ الحقدَ مَن تعلو به الرتب ولا ينالُ العلا مَن طبعُه الغضب

وقعتْ مجادلة بين أخوين قطعت أواصر اللقاء بينهما، وأراد أحدهما قطع الخصومة ووصل الود فأخذ ولده ومضى لزيارة أخيه المخاصم في بيته، كان البيت في ريف بعيد من أرياف المدينة ولم تكن

وسائل المواصلات ميسورة، فمشى الأخ مع ابنه من وسط المدينة إلى ذلك الريف مشياً، فلما وصل إلى بيت أخيه وقرع بابه سألت الزوجة عن الطارق فقال إنه فلان وقد جئت لزيارة أخي.

فأخبرت الزوجة زوجها فقال لها: قولي له إني لم أدعه فليرجع من حيث جاء، فلما أخبرته عاد أدراجه، فسأله ولده أن يكرر المحاولة فقد جئنا من مكان بعيد فأجاب لقد قال تعالى ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وما لبث الأخ داخل البيت أن شعر بخطئه فخرج مسرعاً ليلحق بأخيه ويضمه ويعتذر إليه.

سلامة الصدر أتقى وأنقى وأبقى، وسليم الصدر قلبه بالخالق موصول وخيره للخلق مبذول.

لا يحملُ الحقدَ مَن تعلو به الرتب ولا ينالُ العلا مَن طبعُه الغضب

أيها الإخوة:

أهم ما في الخطبة خاتمتها، كيف تتحلى بسلامة الصدر:

مما يعين على سلامة الصدر:

1- الإكثار من ذكر الله تعالى، حتى يمتلأ القلب بالنور فإذا امتلأ بالنور لم يتسع لغيره، وفاضت أنواره على النفس.

قلوب متى منه خلتْ فنفوسُ لأحرف وسواسِ اللعين طروسُ

وإن مُلئت منه ومن نور ذكره فتلك بدورٌ أشرقت وشموس

2- عدم مجاراة النفس فما تريد من تتبع أخبار الناس والوقوف على أسرارهم.

أخرج عبد الرازق عن إسماعيل بن أمية، عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة لا يَسْلَمُ منهن أحد: الطيرة، والظن، والحسد، فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا حسدت فلا تبغِ، وإذا ظننت فلا تحقق»**.

3- ملأ الوقت بالعمل النافع؛ لأن الشيطان يُعْمِلُ الأيدي الفارغة، ومن انشغل بأدب نفسه أراح قلبَه وأرضى ربَه.

أيها الإخوة:

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه ﷺ وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾

والحمد لله رب العالمين